

أضواء البيان

@ 95 @ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِيَتَغَفَّرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ
فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُرُوا° وَأَسْتَكْبَرُوا°
أَسْتَكْبَرُوا° } ، وقوله هنا : { فَافْتَحْ بِيَدِي وَبَيِّنْ لَهُمْ فِتْحًا } ، أي :
احكم بيني وبينهم حكمًا ، وهذا الحكم الذي سأل ربّه إيّاه هو إهلاك الكفار ، وإنجاؤه
هو ومن آمن معه ، كما أوضحه تعالى في آيات أخر ؛ كقوله تعالى : { فَدَعَا رَبَّهُ
أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ } ، وقوله تعالى : { وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى
الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا } ، إلى غير ذلك من الآيات . وقوله هنا عن نوح :
{ وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } ، قد بيّن في آيات كثيرة أنه أجاب
دعائه هذا ؛ كقوله هنا : { فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ } ، وقوله تعالى :
{ وَالْقَدْرَ نَادَانَا نُوحٌ فَلَا نَعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَاهُ مِنَ
الْكَرْبِ الْعَظِيمِ } ، والآيات بمثل ذلك كثيرة . .
وقوله هنا : { ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْيَاقِينَ } ، جاء موضحًا في آيات كثيرة ؛
كقوله تعالى : { فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ } ، وقوله تعالى : { وَلَا
تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا° إِنْ نَزَّهُمْ مِّنْ غُرْقُونَ } ، إلى غير ذلك من
الآيات . .
و { الْمُشْحُونِ } المملوء ، ومنه قول عبيد بن الأبرص : و { الْمُشْحُونِ } المملوء ،
ومنه قول عبيد بن الأبرص : % (شحنا أَرْضهم بالخيل حتى % تركناهم أذلّ من الصراط) % .
والفلك : يطلق على الواحد والجمع ، فإن أطلق على الواحد جاز تذكيره ؛ كقوله هنا :
{ فِي الْفُلْكَ الْمُشْحُونِ } ، وإن جمع أنث ، والمراد بالفلك هنا السفينة ؛ كما صرّح
تعالى بذلك في قوله : { فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ } . { كَذَّبَ
أَصْحَابُ الْآيَةِ الْمُؤْمِنِينَ } . قال أكثر أهل العلم : إن أصحاب الأيكة هم مدين .
قال ابن كثير : وهو الصحيح ، وعليه فتكون هذه الآية بيّنتها الآيات الموضحة قصّة شعيب مع
مدين ، ومما استدللّ به أهل هذا القول ، أنّه قال هنا لأصحاب الأيكة : { أَوْفُوا
الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطِ }
الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا° فِي الْأَرْضِ
مُفْسِدِينَ } ، وهذا الكلام ذكر اللّاه عنه أنه قاله لمدين في مواضع متعدّدة ؛ كقوله

في (هود) : { وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ قَوِّمُوا
أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا